مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(أعمال الرسل ١٣:٢٥-٣٣)

في تلك الأيام لمَّا بلغَ يوحنا قضاءَ سَعيهِ طفِقَ يقولُ مَن تحسَبون أني أنا. لستُ أنا إيَّاهُ ولكن هوذا يأتي بعدي مَن لا أستَحقُّ أن أحُلَّ حذاءَ قدَميهِ* أيُّها الرجالُ الإخوةُ بني جِنسِ إبرهيمَ والذينَ يتَّقون الله بينكم إليكم أُرسلت كلمةُ هذا الخلاص* لأنَّ الساكنينَ في أورشليمَ ورؤساءَهم من حيث إنَّهم لم يعرفوهُ ولا أقوالَ الأنبياءِ التي تُتلى في كلِّ سبتٍ أتمُّوا بالقضاءِ عليهِ* ومعَ أنَّهم لم يجدوا عليهِ ولا علَّةً للموتِ طلبوا من بيلاطُسَ أن يُقتل* ولمَّا أتمُّوا كلَّ ما كُتبَ عنه أنزلوهُ عن الخشبةِ ووضعوهُ في قبرٍ* لكنَّ اللهَ أقامهُ من بينِ الأموات* وتراءى أياماً كثيرةً للذينَ صعِدوا معهُ من الجليل إلى أورَشليمَ وهم شهودٌ الآنَ عند الشعب* ونحن نبشِّركم بالموعد الذي كان للآباءِ* بأنَّ اللهَ قد أتمَّهُ لنا نحنُ أولادَهم إذ أقامَ يسوعَ.

العظة على الجبل:
دينونة الآخرين

«لا تدينوا لكي لا تُدانوا. لأنَّكم بالدينونةِ التي بها تدينونَ تُدانون. وبالكيلِ الذي بهِ تكيلونَ يُكالُ لكم. ولماذا تنظرُ القذى الذي في عينِ أخيكَ. وأمَّا الخشبةُ التي في عينِكَ فلا تفطنُ لها. أم كيفَ تقولُ لأخيكَ دعني أُخرِجِ القذى من عينِكَ وها الخشبةُ في عينِكَ» (متى ٧:١-٤).

لقد سمعنا الرب يسوع يدعونا سابقاً، في حديثه عن الصدقة والصلاة والصوم، أن نقوم بالفضائل «في الخفاء» أمام الله وحده، «وأبوكَ الذي يرى في الخفاءِ هو يجازيكَ علانيةً» (متى ٦:٤و٦و١٨). ذلك لأن الله وحده له السلطان أن يجازي ويكافئ. وها نحن نرى الرب في بداية الإصحاح السابع من إنجيل متى يحذرنا من الوقوع في خطيئة دينونة الآخرين لأن الله وحده هو الديَّان العادل.

في هذا الكلام تحذير لنا بأنه في اللحظة التي نبدأ فيها بدينونة الآخرين وإظهار أخطائهم يبدأ الله بمحاسبتنا على خطايانا التي لا تُحصى، لهذا السبب يتوجب علينا الغفران والمسامحة. لو كان الله يحاسبنا كما نحاسب نحن بعضنا فالويل لنا. لذلك يدعونا لأن تكون قلوبنا واسعة لئلا يكيل لنا بنفس المكيال.

كل مسيحي مؤمن وملتزم يعي بأن هناك دينونة لكل إنسان في اليوم الأخير، يوم مجيء ربنا يسوع المسيح الثاني. هذه الدينونة سوف تكون على أساس أعمال هذا المسيحي المؤمن، خاصة في تعامله مع جاره وقريبه، مع اخوة يسوع الصغار. ومن أهم أسس الحياة المسيحية أن لا يدين الأخ أخاه المؤمن الآخر. «لا تدينوا» هي دعوة للمسيحي لكي لا يدين جاره. «لا تدينوا لكي لا تُدانوا... بالكيل الذي به تكيلون يكيل لكم». من عادة البشر أن لا يرحموا عندما يدينون، لذا يحذرنا الله أن لا ندين لكي نلقى المعاملة الحسنة في يوم الدين.

هذه الدعوة إلى عدم دينونة الآخرين لا تعني أن يساوم المؤمن على فعل الخير وعلى مبادئ الإنجيل الأخلاقية. المسيحي مُرسل من الله ليحافظ على الأخلاق المسيحية وثباتها في حياة المجتمع. هل هذا تناقض؟ كلا. على المسيحي أن لا يدين الآخرين، بل أن يُظهر عطفاً ومغفرة ورأفة تجاه

العدد ٢٠٠٤/٣٥

الأحد ٢٩ آب

تذكار قطع رأس النبي الكريم والسابق المجيد يوحنا المعمدان

اللحن الرابع

إنجيل السَحَر الثاني

الإنجيل

(مرقس ٦:١٤–٣٠)

في ذلك الزمان سمِعَ هيرودسُ الملكُ بخبرٍ يسوعَ (لأنَّ اسمَهُ كان قدِ اشتهر)، فقالَ إنَّ يوحنا المعمدانِ قد قام من بين الأموات. من أجلِ ذلكَ تُعمَلُ بهِ القوَّات* وقال آخَرون إنَّهُ إيليا وآخرون إنَّهُ نبيٌّ أو كأحدِ الأنبياءِ* فلمَّا سمعَ هيرودسُ قال إنمَّا هذا هو يوحنَّا الذي قطعتُ أنا رأسَهُ. إنَّهُ قد قام من بين الأموات* لأنَّ هيرودسَ هذا نفسَهُ كان قد أرسلَ وأمسكَ يوحنا وأوْثَقَهُ في السجنِ من أجلِ هيروديَّا امرأةِ أخيهِ فيلبُّسَ لأنَّهُ كان قد تزَوَّجها* فكان يوحنا يقولُ لهيرودُسَ إنَّهُ لا يحِلُّ لك أنْ تكونَ لكَ امرأةُ أخيك* فكانت هيروديَّا حانِقةً عليهِ تريدُ قتلَهُ فلم تستَطِعْ. لأنَّ هيرودُسَ كان يخافُ من يوحنا لعِلمِهِ بأنَّهُ رجلٌ بارٌّ وقديسٌ ويحافِظُ عليهِ. وكان يصنعُ أموراً كثيرةً على حَسَبِ ما سمعَ منهُ وكان يسمعُ منهُ بانبساطٍ* ولمَّا كان يومٌ موافِقٌ وقد صنعَ هيرودُسُ في مولِدِهِ عشاءً لعُظمائِه وقوَّادِ الألوفِ وأعيانِ الجليلِ دخلتْ ابنةُ هيروديَّا هذه ورقصت فأعجبت هيرودسَ والمتكئين معهُ* فقال الملك للصبية اطلبي منّي مهما

الآخرين، وهو مدعو أيضاً لأن يلاحظ الأفعال الشريرة ويدين هذه الأفعال لا صاحبها. لا يحق له أن يدين السارق، لكن له الحق أن يقول ان السرقة جريمة ضد المجتمع وخطيئة ضد إرادة الله. على هذا الأساس عقوبة الإعدام مرفوضة في المسيحية، لأنه لا يحق لنا أن ندين البشر. الله هو الذي يدين وهو ديّان عادل. نحن نقول ان ذلك الإنسان ارتكب خطأ ما، ونعاقبه بالسجن لعله يتوب في حياته ويعود إلى الله. فالله «يريدُ أنَّ جميعَ الناسِ يخلُصونَ وإلى معرفةِ الحقِّ يقبلون» (١ تيمو ٢:٤).

عندما يدين المسيحي الأفعال الشريرة فهو يُسائل نفسه أيضاً، لأن مسؤوليته التي أُلقيت على عاتقه يوم معموديته هي تثقيف الذين حوله وإرشادهم إلى طريق الحق. مسؤوليتك أيها المسيحي أن تعلِّم، أن تزرع كلمة الله، والآب هو ينمّي.

الرب يدعونا في هذا المقطع عن الدينونة أن نهتم بخطايانا أولاً ثم خطايا الآخرين. لذا ينهي الرب دعوته بـ«يا مرائي أخرِج أولاً الخشبةَ من عينِكَ.وحينئذٍ تُبصِرُ جيداً أن تُخرِجَ القَذى من عينِ أخيكَ» (٧: ٥). يا مرائي، يا ممثل، يا مخادع، نقِّ نفسك أولاً، ومتى حلَّ نور الرب في داخلك، عندها فقط تستطيع أن تبصر جيداً أخطاء الغير، عندها سوف تتصرف كما لو ان الرب يتصرَّف معك. ألم يمت من أجلك على الصليب؟ هكذا أنت سوف تستميت كي تخلِّص أخيك من الخطيئة التي وقع فيها دون أن تدينه وتحكم عليه بالذهاب إلى الجحيم. اترك ذلك لله، هو وحده يجازي ويكافئ.

بعد الحديث عن الدينونة يقول الرب «لا تُعطوا القُدْسَ للكلابِ. ولا تطرَحوا دُرَرَكم قدَّامَ الخنازيرِ لئلاَّ تدوسَها بأرجُلِها وتلتفِتَ فتُمزِّقَكُم» (٦:٧).

المسيحي هو سفير لإرادة الله وإنجيله. مهمته أن ينقل رسالة المسيح أينما توجه وحيثما استطاع، إن بأقواله أو بأفعاله وتصرفاته، حسب موقعه وإمكاناته. إلا انه مدعو لأن يكون حكيماً أين يطرح دُرَرَه. فالكلاب والخنازير هم رمز للدنسين غير الأطهار، أي الذين هم خارج الإيمان. يجب أن يكون الإنسان حكيماً في كيفية طرح أفكار الإنجيل أمام من هم خارج الإيمان، لأنه قد يوجد من لا يُقدِّر هذه النفائس التي يُنطق بها، وتكون ردَّة الفعل عكسيَّة تماماً. لذا ينبغي الحذر والحكمة.

«اسألوا تُعطوا. اطلبوا تجدوا. اقرعوا يُفتح لكم. لأنَّ كلَّ من يسألُ يأخُذُ، ومن يطلبُ يجدُ، ومن يقرع يُفتح له» (٧: ٧و٨). اسألوا، اطلبوا، اقرعوا، هذه الأفعال تدل على المثابرة والإصرار والمتابعة التي يجب أن يتحلى بها المؤمن المسيحي حين يطلب رحمة الله، حين يطلب الاستنارة بنوره المقدس. الله يعلم حاجات المؤمن. ألم يقل لنا سابقاً: «لأن أباكم السماويَّ يعلمُ أنَّكم تحتاجون إلى هذه كلها» (متى ٦: ٣٢). لكن مثابرة المؤمن في طلبه رحمة الله وحده هي لمنفعته هو لأن هذه المثابرة تبقيه أقرب إلى الله، كما تبقي خطوط الاتصال معه مفتوحة دائماً. المسيحي مدعو لأن يسهر ويصلّي بلا فتور وبثقة كبيرة بأن الله الضابط الكل، **أباه السماوي**، سوف يستجيب طلبته التي هي لخيره، ليس فقط لهذه الحياة بل وللحياة الأبدية أيضاً. المهم أن يطلب الإنسان من الله وحده وليس من إله آخر اختاره هو، وأن يلح ويثابر والله سوف يستجيب. فإن كان البشر يعرفون أن يعطوا العطايا لأولادهم فكم بالأحرى الآب السماوي. لا أحد يعطي إبنه حية بدل السمكة وحجراً بدل الخبز. حتى الأشرار منا لا

أردتِ فأُعطيكِ* وحَلَفَ لها أنْ مهما طلبتِ مني أُعطيكِ ولو نصفَ مملكتي* فخرجتْ وقالت لأمّها ماذا أطلبُ، قالت رأسَ يوحنا المعمدان* وللوقت دخلتْ على المَلِكِ بسرعةٍ وطلبتْ قائلةً أريدُ أنْ تُعطيَني على الفور رأسَ يوحنا المعمدانِ في طبق* فاستحوذَ على المَلِكِ حُزنٌ شديدٌ ولكنَّهُ من أجلِ اليمينِ والمتَّكئين معهُ لم يُردْ أنْ يصُدَّها* ولساعتِهِ أنفذَ سيَّافاً وأمر أنْ يؤتى برأسه* فانطلقَ وقطع رأسَهُ في السجن وأتى برأسهِ في طبق وأعطاهُ للصبيَّةِ والصبيَّةُ أعطتهُ لأمِّها* وسمعَ تلاميذُهُ فجاءوا ورَفَعوا جُثَّتَهُ ووضعوها في قبر* واجتمعَ الرسُلُ إلى يسوعَ وأخبروهُ بكلِّ شيءٍ كلِّ ما عمِلوا وكلِّ ما علَّموا.

تأمل

لا تحتقر الخمرة بل السكر. وعندما يملك السكران رشده صف له قبح السكر. قل له قد أعطي الخمر لأجل التسلية لا لأجل القباحة. أعطي لتكون فرحاً مسروراً لا موضوعاً للإستهزاء، لتقوية الصحة لا لهدمها، لتطبيب أسقام الجسد لا لإضعاف النفس.

إن الله أكرمك وأعطاك هذه الهبة، فلماذا تتجاوز الحد باستعمالها وتحتقر ذاتك. اسمع ما قاله بولس الرسول: استعمل قليلاً من الخمر من أجل معدتك وأمراضك

يعطون إلا الخيرات لأولادهم فكم بالحري تكون رحمة الآب السماوي؟: «فإن كنتم وأنتم أشرارٌ تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيِّدة فكم بالحري أبوكم الذي في السموات يهبُ خيراتٍ للذينَ يسألونه» (متى ٧:١١).

كتاب «صعود موسى»

القديس غريغوريوس النيصصي هو، إلى جانب شقيقه باسيليوس الكبير والقديس غريغوريوس النازيانزي أو اللاهوتي، القطب الثالث في ثلاثي الآباء المعروفين بالكبادوك، وذلك نسبةً إلى موطنهم كبادوكية في تركيا الحالية.

اتصف هذا القديس بضلوعه من الفلسفة وعلوم عصره الطبيّة كما عُرف عنه براعته في الخطابة وعمقه اللاهوتي. وقد أطلق عليه المجمع المسكوني السابع لقب «أبو الآباء».

ترك لنا القديس غريغوريوس عدداً كبيراً من المؤلّفات اللاهوتية، حاول في بعضها أن يقتفي آثار أخيه القديس باسيليوس ويكمل ما كان الأخير قد بدأه. ولا تنطبق هذه الملاحظة على بعض أعمال النيصصي التفسيرية مثل كتاب «تفسير خلق الأيام الستّة» فحسب، بل على اجتهاده في التصدّي للآريوسية التي كان باسيليوس، خلال حياته، قد انصرف إلى مقاومتها وإقناع بعض المنتمين إليها بالعدول عن موقفهم والعودة إلى حضن الكنيسة.

من جهة أخرى، وضع القديس غريغوريوس مؤلّفاً غايةً في الأهمية عنوانه «صعود موسى» أصبح، فيما بعد، ذا تأثير عظيم في فكر الكنيسة وحياتها.

ينتمي هذا الكتاب، من حيث المبدأ، إلى النوع التفسيريّ، لأنّ غريغوريوس يجعل من أحداث حياة موسى النبيّ، كما وردت في سفري الخروج والعدد، النسيج الذي يبني عليه عمارة كتابه. بيد أنّ الكتاب لا يقتصر على النوع التفسيريّ الصرف. ففيه يعرض النيصصي، على نحو لافت، مراحل ارتقاء الإنسان إلى الله، أي مراحل التقدّم الروحيّ وصولاً إلى الكمال والاتّحاد بالله، وذلك انطلاقاً من شخصيّة موسى النبي. بذا، يجعل القديس غريغوريوس من أحداث حياة موسى، بدءاً بولادته ومروراً بظهور الله عليه في العلّيقة المحترقة، وصولاً إلى صعوده الجبل وتسلّمه الوصايا الإلهيّة، نموذج الصعود الروحي إلى الله. ويرجّح الدارسون أن يكون غريغوريوس قد خطّ كتابه هذا في أواخر حياته، نزولاً عند رغبة أحد الرهبان، الأمر الذي يظهر في الكتاب عند إشارة غريغوريوس إلى شيب شعره وما نعثر عليه من نضج وعمق في المعالجة.

يقسم القديس غريغوريوس كتابه «صعود موسى» إلى قسمين، فيدعو القسم الأول «تاريخ» والقسم الثاني «ثاوريّا» أو «نظر». يشتمل القسم الأول على عرض لأحداث حياة موسى، كما وردت في العهد القديم. أما كلمة «تاريخ»، التي يستخدمها غريغوريوس هنا كعنوان، فهي تشير، بحسب المفاهيم التي كانت سائدة في الخط التفسيري الإسكندري، إلى عدد من الأحداث التاريخية في ذاتها أو إلى المعنى الحرفي للنص الذي يسرد هذه الأحداث. فنجد النيصصي هنا يستعرض الأمور المتعلّقة بموسى كما يقرأها في العهد القديم، ولا يضفي عليها أيّ مضمون رمزي، بل يكتفي بإيضاح بعض الأمور الغامضة لدى القرّاء. فضلاً عن ذلك،

المتكاثرة (١تيمو ٥:٢٣) فإذا كان القديس الذي اعترته الأمراض والأسقام الكثيرة لم يستعمل الخمرة إلا بأمر معلمه، فلأي دينونة نعرّض أنفسنا نحن الأصحاء إذا استعملناها دون حاجة كما قيل: استعمل قليلاً من الخمر من أجل معدتك وأسقامك الكثيرة. أما بولس فيقول لكل من يشرب الخمرة منكم: استعمل قليلاً لأن السكر يولّد الضلال فإذا لم تريدوا أن تمسكوا ذواتكم عن السكر فامتنعوا عنه لأنه يهيج فيكم الشهوات المكروهة.

الخمرة أُعطيت لأجل الفرح كما قال النبي داود لأنها تُفرح قلب الإنسان. هل الفرح في أن تفقد رشدك، وتتألم من أمراض عديدة، وأن ترى كل ما يحيط بك قاتماً مظلماً، وأن تصبح محتاجاً إلى من يمسح رأسك بالزيت المقدس؟ أنا لا أتكلم عن الجميع بل لأجل الجميع. أنا لا أقول ان الكل يشربون بل الذين لا يشربون لكي يعنوا بالذين يشربون.

لهذا أوجّه كلامي بنوع خاص إليكم أنتم المعافين تماماً لأن الطبيب يترك المريض ويخاطب الأصحاء الجالسين قربه. نعم إليكم أوجّه كلامي كي لا تدعوا العدوى تسري إليكم ولكي تنجوا من ذلك المرض الخبيث، من سرت إليهم العدوى، فلا يكون بينكم من هو أدنى من الحيوان.

القديس يوحنا الذهبي الفم

يعمل غريغوريوس على استخراج المعنى الخلقي لسلوك موسى النبي، بحيث تصبح سيرة موسى المعروضة هنا سيرة واحد من القديسين الذين يُتوقع من القرّاء الاقتداء بهم والسير في ركابهم.

القسم الثاني المدعو «ثاوريّا» أو «نظر» هو الجزء الأطول من الكتاب والذي يضفي عليه طابعه الفريد. كلمة «ثاوريّا»، التي يلجأ إليها النيصصي كعنوان، عبارة تقنيّة مستقاة أيضاً من الأدب التفسيري في إطار مدرسة الإسكندرية، وتشير منذ أيام فيلون الإسكندري (القرن الأول الميلادي) إلى معنى النص لا في حرفيته، بل في مرماه الرمزي. والمعروف أنّ إضفاء بُعد رمزي على النصوص الأدبية المكتوبة لم يكن غريباً عن الأجواء الثقافية اليونانية. فالفلاسفة الرواقيّون كانوا أول من سعى إلى تفسير الأساطير اليونانية رمزياً، وذلك لما كانت تنطوي عليه من أحداث لا يقبلها العقل أو قصص تتّسم باللاأخلاقية. وقد تبنّى اليهود الإسكندريون، ومن بعدهم المسيحيون، هذا النمط في التفسير، فطبّقه فيلون الإسكندري على أجزاء واسعة من العهد القديم، ولاذ به العلاّمة أوريجّنس في التفاسير التي وضعها على الكتاب المقدس.

في القسم الثاني هذا، يصوّر غريغوريوس مراحل حياة موسى بوصفها تدل على مراحل الارتفاع نحو الله. ويرى النيصصي أنّ حركة الإنسان إلى الله قوامها عيش الفضيلة، وذلك انسجاماً مع الدعوة الأساسيّة للإنسان المخلوق على صورة الله. ويرتبط التقدّم في حياة الفضيلة ارتباطاً وثيقاً بالتحرّر من الأهواء، أي من منابع الخطايا المعشّشة في النفس البشريّة كالحسد والبغضاء والحقد والشراهة. ويضفي غريغوريوس على الحركة، وهي طاقة من طاقات الإنسان، طابعاً إيجابياً، إذ يرى أنّها شرط التقدّم الروحي والآليّة التي تحقّق شوق الإنسان إلى الاتّحاد بخالقه، هذا الاتحاد الذي يعبّر عنه تعبيراً ملموساً حدث دخول موسى الغمام الإلهي على جبل سيناء. ونجد في تعليم غريغوريوس هذا تصحيحاً مبطّناً لفكرة أوريجنس الإسكندري أنّ النفوس، التي كانت متّحدة بالله قبل الخلق، تحرّكت فابتعدت عنه. ويبيّن القديس النيصصي في كتابه كيف أنّ الاتّحاد بالله، في المفهوم المسيحي، ليس مرحلة ثابتة يبلغها الإنسان وكفى. فالمتّحد بالله، رغم بلوغه مرمى شوقه، لا ينفكّ يتحرّك في الله، أي يتقدّم في معرفته، وذلك لأنّ الله تحديداً غير متناه، بحيث لا يستطيع أي من خلائقه أن «يستنفده». المتّحد بالله، إذاً، هو في الله على الدوام، منتقلاً في حال اتّحاده هذه «من مجد إلى مجد». لكن هذا الاتّحاد لا يتيح للإنسان أن يستوعب الله. فالله يبقى خافياً على الخلائق في بعض جوانب وجوده. ولعلّ أبلغ تعبير عن هذا في حياة موسى أنّ الله يلاقي نبيّه محاطاً بالغمام، الذي يُستدل منه على أنّ الإنسان، مهما سما روحياً لا يدرك الله إدراكاً تاماً،لأنّه تحديداً مخلوق، والمخلوق لا يستوعب الخالق. وسيعمد القديس غريغوريوس بالاماس، لاحقاً (القرن الرابع عشر)، إلى بلورة هذه الفكرة معتبراً أنّ البشر يشتركون في الله من حيث قواه، أي من حيث تنازله إلى خلائقه، فيما يبقى جوهره خافياً على البشر والملائكة.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb